حركة الفن العراقي في ايامها الاولى

نوري الراوي

استهلال :

كانت بداية الثلاثينات من هذا القرن ، تومي الى انفتاح اصغر النوافذ في البيت القديم الذي رانت عليه ظلمات العصور .

وفي تلك الفترة ، يستطيع اى راصد لتاريخ الحركة الفنية في العراق ، ان يضع علامة افتراض زمني عند مطالع عام ١٩٣٠ حيث بدر اول اعتراف رسمي بفن «الرسم» ، وارسل فيه اول مبعوث الى خارج الوطن ليتلقى دراسته في معاهد الغرب ، ويلتقي بالعالم الجديد ، خارج حدود البيت القديم !..

وفي عام ١٩٣٢ افتتح « المعرض الصناعي الزراعي » ببغداد ، فكان افتتاحه ايذانا بدخول اولى اشارات الرسم الى دنيا الناس ، بعد ان كان فن :« الهواية الرفيعة » الذى يمارسه عدد قليل من الرسامين ، ولا يألفه الجمهور ، بل لا يعرفونه الا ضمن حدود ضيقة من مدارس ذلك العهد : دار المعلمين .. الثانوية المركزية وبعض المدارس الاخرى .

صورة الفن في امس بغداد الذاهب ، كانت ضبابية الى حد لايعين الدارس على رؤية واضحة ، ولو ان الزمن ابقى من رسومها ما يعين الباحث على النظر والتأمل ، لكان لنا ان نطمئن ، غير ان في ذاكرة اي من أولئك الذين عاصروا ولادتها ، وعاشوا سيرتها الاولى ، تشابيح صور لا يمكن ان تكون معولا اكيدا ، ما دامت لوحات رسامي تلك الفترة ،ممن اشغلوا بالتعليم آنذاك ، قد ذهبت مع ريح الزمن ، فلم تحفظ في دار او تعلق على جدار !..

فترة الحرب العالمية الثانية :

ان ابرز ما يميز هذه الفترة ، هو توصل الفنانين العراقيين الى اكتشاف «**الشكل الجديد للعالم**» وهو اكتشاف جوهري كان يقف في وضع مواجه «**للرسم الطبيعي**» الذي يشبه عقيدة مقدسة تحتل قلوب المتعلمين آنذاك . ولقد حدث هذا الاكتشاف ، في الوقت الذي كان المجتمع صادفا عن كل ظواهر الثقافة وتحولاتها التي كانت تجري ببطء ، خلف جدران المراسم المتواضعة الصغيرة ، او غرفات الدرس أو المكتبات .

كان رسامو الجيل الاول ، منهمكين في اعمالهم التقليدية ، منصبين على افراغ الشكل من متحواه ، وايداعه في قوالب التأليفات الجامـدة ، وكانوا يفعلون ذلك تلبية لنفس الدواعي التي حثت خطى من سبقهم من الرسامين مع فارق واحد ، هو ان الزمن وضع في ايديهم ريشات يهزها الانفعال ، وترجفها الاحداث المتواترة في عصر كانت تزيد امواجه وتتفاقم صداعاته الفكرية والسياسية ، حتى تصل ذروتها : الحرب . ومع انهم كانوا – يومذاك – يقضون اوقات فراغهم في نقاش طويل حول المفاهيم الفنية الجديدة التي حملها الفنانون الاجانب الى بغداد ، فقد ظل بعضهم خارج اطار تلك الدائرة النظرية ، لا يجرؤ على الدخول في تجربة الاتصال بذلك العالم الجديد المثير . وكما فعل رواد الانطباعية ، حينما آثروا الحياة الخلوية الحرة ، واحبوا مشاهد الطبيعة ، فانتعلوا احذية الفلاحين الغليظة ، وعاشوا حياتهم الشظفة في الارياف ليقتربوا من قلب الطبيعة الام ، حملت امواج الحماس اكثر من فنان عراقي لان يهبط هو الآخر ، الى دنيا الحياة الشعبية ، ليصور ، وقد نضا عنه زي « الافندية » ، قلب المجتمع ،مقتربا منه الى الحد الذي يسمح له بسماع وجيبه وخفقانه!!..

كان قلب المجتمع العراقي في الاربعينات ، يجب بهلع افقد الكثير من ابنائه املهم في شفاء العالم من برحائه الدموية . وفي تلك الايام العصيبة ، بدأت مناقشة القيم الاساسية للفن تعلو على صخـب رواد «المقهى البرازيلية» . وانتهت النتائج الايجابية – رغم المعارضة الشديدة التي لقيتها – لصالح «المضمون» **اولا و«الشكل» ثانيا ، ومنذئذ اصبح الاخير وسيلة لحمل الانفعال في التعبير الفني ، وليس غاية في ذاته !.**

وهكذا حول الفن العراقي مجراه ، لينصب واحدا من روافد الفن الصغرى ، في المسيل الهادر لتيارات الفن المعاصر . ولاول مرة ، ظهرت بوادر تلك الاسلوبية الجديدة في تأليف اللوحة الفنية في الصـورة الشخصية التي رسمها فائق حسن لامه عام ١٩٤٢ ، كما ظهرت في لوحات اخرى له ولجواد سليم ، وفي محاولات **بعض اعضاء «جمعية اصدقاء الفن»** الذين وضعوا – **حين اقبلوا على هذه التجربة** – قلوبهم على ايديهـم ، واقتحموا آخر حاجب تقيدي وضعه الفن الاتباعي في طريقهم !.

وقد افلحت هذه التجارب البسيطة ، في ترسيخ سيماء لغة عراقية، ذات مداليل غربية ، بينا كانت تتناول تصوير المنائر والقباب والاسواق والطنف البغدادية ، متجاوزة ذلك الى تصوير ملامح الريف العراقي وخيام البدو في الصحراء . الا ان محاولات الفنان في هذه المرحلة ،لم تقتحم، بوعي كامل ، الحاجب التقليدي لمدارس الغرب بل ظلت تبحث من خلال تلك المدارس عن مواضيع تلتقط بعضها من قارعة الطريق ، وتجفف البعض الآخر في شمس البادية ، وتعطي لغير هذه وتلك ، قليلا من الظل والضوء ، لتصبح صورة ذات بعدين ولاعمق !.

ولقد بقي الحدث الاجتماعي بمعناه المأساوي ، بعيدا عن تناول الفنان في تلك الفترة ، وما ظهر منها آنذاك ، لم يكن اكثر من ظلال شاحبة ،لردود افعال اجتماعية كان يزجيها المجتمع على شاطئة ،فيتناولها بالتسجيل هذا الفنان او ذاك !

ولعلنا ، ونحن نختبر تلك الفترة بمزيد من الفحص والتمعن ، لندرك ، انها الفترة التي استطاع الفنان العراقي فيها ان يكون مدركا لوجود حالة راهنة وحالة ماضية لا يمكن التقاؤهما الا في نقاط ظاهرية تتصل خلال التكنيك بطريقة المعالجة لمواضيع حديثة بالاسلوب القديم! ... وبالرغم من ان (آلة) الزمن ، كانت قد القت ظلالها الرهيبة على أعمال الفنانين الاوربيين في عالم ما بين الحربين الكبيرين وما بعد الثانية منهما ، الا ان «الوجدان» العراقي لم يصب بالذي اصيب به الوجدان الاوربي من ضغط وتمزق.فلقد ظل بعيدا من وهدة الصراع الدائر هناك، وظلت مواضيعه التقليدية سائرة في مسيل ضحل كانت مافتئت تجرجر فيه آثار الاتباعية في آن واضواء الانطباعية في آن آخر . بينما كانت مدارس الغرب تتبرعم ، وتمتد وتتشابك ، ثم تتفرع بشكل مذهل عجيب كانت تفقد فيه مع الايام،علاقاتها بالطبيعة والحياة الصامتة والوجوه الشخصية، باحثة عن مناخات جديدة واشكال غير مألوفة لتكوين النظائر المثلى لعوالم ما بعد المادة وما وراء المنظور .

في تلك السنوات المشحونة بالخوف والترقب واليأس ، كانت هوى المأساة ، تنفتح أوسع وأوسع ، لتجر الى اعماقها رمم العصر الذي افقدته الكوارث المتوالية قواه الروحية فأوصلته الى مثل هذا المصير ! ..

لقد اطل الفنان الحديث من ابوابه الموارية على العالم ، لا ليصور ، بل لينشد مرثاته الطويلة الباكية على انقاضه . ومن هناك وصف الهزائم الشنيعة التي حاقت بالنفس البشرية في محنها المتوالية ، وعمد الى تحطيم «الشكل» ليعيد بناءه مشوها كما لو كان قد تخلف عن حرب ما حقة !.

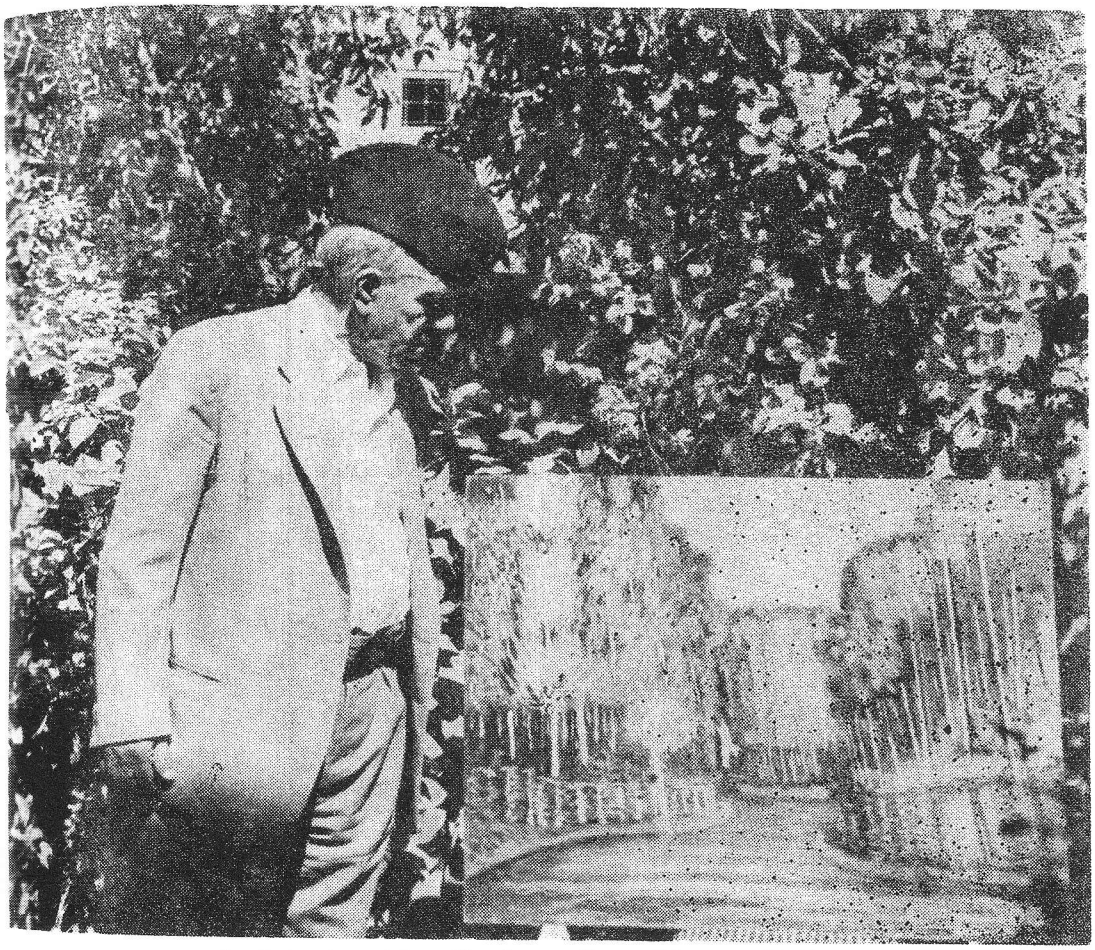

الفنان محمد زكي صالح مع لوحته « شارع في شقلاوة »

في تلك السنوات ، كانت المواضيع الاثيرة في الفن العراقي ، تدور حول : مشاهد الطبيعة Landscape والطبيعة الصامتة (Still-life)والصور الشخصية (Portrait) لان عمل المخيلة ظل حتى ذلك الوقت ، كما لو كان استحضارا للصور القريبة من (نظر) الفنان ، دون استلهام (بصيرته) • وحين بدأت (رؤيته) تتجه صوب العوالم الداخلية للنفس ، كان الزمن قد جرى اشواطا بعيدة في تقدمه نحو الحاضر الذي نعيشه اليوم ! •

كانت اعمال تلك الفترة الجياشة بالانفعال ، تفتقر الى استبطان خفايا النفس البشرية وعوالها الداخلية ، وهي بالرغم مما خالطها من روح رومانتيكية ، حملت بعض الفنانين على التغلغل في حارات بغداد لتسجيل جانب من الحياة الشعبية هناك ، فان ذلك الحماس لم يكن في جوهره الا تقليدا لاساليب بعض الفنانين الاجانب الذين حلوا في بغداد ، وهم لا يدرون ، ان موعدا غير مرتقب ، سيجمعهم على موائد «المقهى ألبرازيلية» بفناني مدينة ، كانت حتى ذلك الوقت ، حلما غامضا يطوف في مخيلاتهم ٠

وحينما وقعت انظار اولئك الفنانين الناشئين على صور المآذن والقباب والازقة والبيوت البغدادية ذات «الشناشيل بعد ان تناولها الرسامون الاجانب تناولا جديدا اكد على المثال الذهني ولم يمنح (الشكل) أهميةخاصة استهوت هذه الطريقة الفنان البغدادي الذي درج على درب التقليد ،وبدأت الصورة «الشبه» تهتز في مرآة نفسه ٠ غير انه لم يشأ ، وهو يناقش مفاهيم وجودها المتأصل في اعماق وعيه ، ان يخرج عليها بكل ما في طوقه من حب للابداع والتجدد ٠ وهكذا اختلفت ابعاد الفنانين العراقيين من «عمود» الفن الاتباعي ،بعد ان غيرت مفاهيمهم الفنية ،هذه الحركة الجديدة، فكان منهم الضامىء المتشوق ، والخائف المترقب ، والجريء الذي لم يبال بما قد تحمله له هذه الطفرة من متاعب ومصاعب ٠ وسجل تاريخ تلك الفترة الحاسمة ، اسماء كانت قد فارقت «العمود» ٠ كما سجلت اسماء اخرى ظلت تلازم ظله ، وثالثة كانت تقف في منتصف الطريق ، فلا هي تبارحه ، ولا هي تستمر على السير فيه ٠٠

حينئذ ، بدأت الصور تفقد علاقتها الاولى بظهور خارجي مألوف ، ولم تعد كما كانت في الماضي مهيأة لاحتضان مشهد نخيلي على دجلة ،اوزقاق معروف في بغداد ، او كوز فخاري في بيت واحد من الفنانين ! ٠٠

نحن اليوم نقرأ يوميات جواد سليم*(٢) ، وقد انتشرت نامية على الدرب الاصعب ٠ فاغمة العطر ، شوكية المجسات ، فيها روح الغابة ، وسحر الصدفة ، وغموض المجهول ، فندرك ان ما القته من ضوء ، كان يكفي لتبديد الظلمة التي اكتنفت حنايا تلك الفترة التي لم يتناولها تاريخ الحركة الفنية بالتسجيل ٠ فهو يعطينا بنقاوة ، عبر كلماته البسيطة ، النبيلة ، شيئا نستطيع ان نجمع من خلاله الخيوط الضائعة لايام بلي نسيجها حتى فقدت ارتباطها بأيامنا هذه ، رغم انها كانت تنطوي على اهمية بالغة في تاريخ الفن العراقي الحديث ، وعلى الاخص ، ما يتصل بها من علاقات في تطوير اتجاهات الفنانين العراقيين ، والتقائها بتيارات الفن الحديث ٠

لقد ارخ جواد نقطة البداية «لمعرفته الجديدة» بشتاء عام ١٩٤٣ حين كتب كلماته هذه التي نجتزيء منها ما سجله في يوميته المؤرخة في ٢٣ – ٩ – ١٩٤٣:

« ... قبل عشرين سنة ، سافر جماعة من المصورين البولونيين من عشاق المدرسة الافرنسية الحديثة الى باريس مع استاذهم صديق باناد ، وهناك مكثوا مدة سنة يتعرفون الى عظمة هذه المدرسة واسرارها بالدرس مع بونار ، والمحاضرات عن النحت في المتحاف ،ثم رجعوا الى وطنهم وكانوا من مشاهير المصورين ومنهم من شاهدت اسماءهم في باريس واوربا ٠

وكانت الحرب ، فنقلت بعض هؤلاء الى بغداد ، فتعرفوا بي وبفائق حسن فيمعرضنا السنوي ، وكان ذلك لقاء حارا وعلى الاخص بعد أن عرفوا انا «باريسيان*»(٣) وابتدأت بيننا صداقة متينة ارجعنا فيها تأثيرات باريس ، وحياة باريس قدر طاقتنا وقدر ما تتمكن به بغداد ... وتعرفت منهم بأشياء لم احلم بها ، اشياء سيكون لها تأثير عظيم جدا في مجرى حياتي ٠ اخذت اعرف الان منهم : الـ Impressionists والـ Post-Impressionists عرفت ما هي قيمة المدرسة الافرنسية الحديثة ، عرفت الان ما هو اللون ، عرفت اللون ، وكيف نستعمل الالوان ، الان اخذت افهم صور سيزان ورينوار وفان غوخ ، صور عظماء المدرسة الايطالية وصور غويا والتصوير الشرقي الخ .. ثم عرفت اكثر من هذا ٠ عرفت قداسة العمل ، عرفت قيمة الوقت ... كنا نشتغل كل يوم من ابتدائه الى نهايته بدون انقطاع ، وفي المساء نجتمع في القهوة البرازيلية لنحتسي القهوة الفرنسية ، مع جدالنا الطويل ٠ كنا نسمي قهوتنا هذه Cafe Dome هنا كنا نتجادل حول كل شييء وكنا آخر من يترك القهوة ٠

صادف انقلابنا هذا كثيرا من الحقد عند بعض اصدقائنا وهاجمنا كثير من الناس ، واتهمونا بالتمثيل ، فلم نبال لان هذه المعرفة الجديدة كانت تقوي عزائمنا يوما بعد يوم ٠ وكان هذا اللغو الذى يثيره هؤلاء الاصدقاء يتلاشى على هذه الصخرة من الايمان القوي ...

ان الفنان الذي ينشد الوصول الى هدفه يجب ان يكرس له كل قواه وحياته ، على الاخص في هذه الايام ٠ فيجب عليه ان يهضم كل قديم ليأتي بالجديد ، وما هذا القديم الا دنيا هائلة ٠

اني اشكر الاقدار لتوصلي لمعرفتي الجديدة ، وسأبدأ منها مفتوح العينين ومفتوح الفؤاد لان طريقي منير ٠ قبل سنة كن طريقي مظلما لا تنيره المعرفة ....»

وتكشف هذه اليومية جانبا مهما من جوانب الحياة الفنية في ايامها الاولى ، بعد أن غبرت مع الزمن او كادت ، صور الماضي المقرون باسماء قدامى الرساميين الذين انتقل بعضهم الى ارض الصمت ، وظل البعض الاخر حتى اليوم ، يرسم معزولا عن حياة العصر ـ بقيمها المتفجرة وتناقضاتها الحادة ـ ما هو ماض انتهت صورته منذ عهد الضجة التي اثيرت حول جواد واصدقائه !..

واذا كنا قد تجاوزنا عن دراسة تلك الفترة التي عاش فيها الجيل الاول من الرسامين ، فذلك لا يعني انها كانت خالية من القوى المؤثرة في حركة الفن ، وانما باعتبارها نهاية الحكم الطفولي الذي كان يحوم في مخيلات اولئك الصبية ، وهم يقلدون بالحبر الصيني ، التخطيطات التي وضعها «ابي زيد» *(٤) في كراسات الرسم لطلبة مدرسة التفيض الاهلية ويفتتنون بما فيها من تقليد محكم للطبيعة ،بظلالها واضوائها واشكالها الجامدة .

ما هو جدير الا يغفل ذكره حين الاقتراب من قلب ذلك العهد وعد نبضاته ، ان جوادا سجل ملاحظات جوهرية في يومياته .

فهو اولا : حين التقى بأولئك الفنانين الاجانب ، كان يستشعر بغريزته الحية النافذة ، ان قوة خفية تدنيه من روح العصر .وقد تحقق ذلك علي ايدي اولئك الفنانين الغرباءالذين احدثوا هذا التحول في تفكيره، وفتحوا بصيرته لرؤية عالم جديد احرى به الا يظل بعيدا عن تياراته، ثم زينوا له الارتماء في لجته مغامرا جديدا من دنيا يقارف الاصدقاء فيها مناصبة عداء من يفعل امرا لا يجرؤون هم على فعله !!

وهو ثانيا : يحس قبل غيره «في يوميات اخر» بضرورة الانتماء للعصر، دون الانسحاب من جلال الماضي ومقوماته التراثية الفحلة ، بل العمل على مزجهما معا في رؤية جديدة تمنح الفنان القدرة على اكتشاف مجاهل النفس البشرية ، والوصول بها الى مرحلة البوح الكلي ، والبث الروحي ..

وهو ثالثا : يبدأ (طريق المعرفة) من الزقاق البغدادي ـ حيث تجري الحياة وفق ناموسها الطبيعي ـعابرا على هبوات الزمن الى «بغداد العباسية» ليلتقي بيحيى الواسطي .. الفنان الذي صور ما يرى بشكل يختلف عما يرى !.. ورسم الجمال ثم لون «كل جمل بلون يتناسب مع اللون الذي بجانبه ، رغم ان الوانها لا تتعدى ان تكون الوان التراب »

[اليومية السابقة]

وهكذا يجلو جواد بحس تمازجه فطرية التوقع ، مرآة علاها غبار السنين ، ليرى فيها وجهي الفنان ، السلف والخلف ، القديم والحديث ، وقد ارتسما على صفحتها المجلوة .

غير ان الفنان لا يكتفي بكل هذه التوصيلات الصغيرة الكبيرة ، بل يمعن بالتوغل في اعماق الماضي ، باحثا عن تلك الحضارات التي عاشت وازدهرت ثم اثمرت على ارض الرافدين ، مستطيبا ان يقطف الثمار وهي فجة ، يمنح منها لرفاقه ما يضرسهم ويعجزهم عن استساغتها !! ..

في سني هذه الحقبة الزمنية ، وماتلاها من اعوام ، ظهرت بوادر التحول الموضوعي في الفن العراقي ، كما بدأت الاساليب تتجه في ترجمة رؤيا الفنان الى لغة العصر الغربي ، اتجاها تقليديا كاملا دون ان يكون هناك ايما تحصن نفسي لقاء ذلك المد الساحر من بدع الفن .. فالشخصية القومية ، كانت غائبة كليا ، والتقليد هو السمة الاكثر رواجا في تلك الايام . واذا كانت هناك من محاولات للتأليف بين ظواهر الاشياء ودواخل الانسان ، فانما كانت محاولات يتسم نصفها بالسذاجة ، ونصفها الاخر بالتقليد !.

ولقد وجد كل من جواد وفائق عالمه الخاص واسلوبه المميز في حدود زمنية متقاربة ، فدخل الاول الى دنيا المدينة ، وارتحل الثاني الى البادية ، مارا بريف الوسط والجنوب !.

كان جواد في تلك الايام ، ينظر بوجل الى ما تفعله معاول الزمن في بغداد ، فاشفق على رموزها ان تضيع ، وعلى تراثها الفني ان يزول . وكانت (بغداد) في ذهن جواد ايامئذ ، تمثل رمز المقاومة لغزو تترى احال اجمل ما فيها من خوالد العمارة العباسية الى اخبار بعد عين !(٥) ... ولقدكانت بغداد ايضا ، النقيض النبيل لثقافة العصر الحديث ، وهي الثقافة التي استوعبها الفنان واحبها بكل جوارحه !.. وهكذا بدت له ، وهي في رحلة الغياب تلك ، أجمل من عروس تزف الى قبرها !..

في تلك الفترة بالذات ، بدأت وجدانياته التي تصبت مدينة الرشيد ، ونشأت من بعد ذلك (بغدادياته) الشهيرة التي مزج فيها رموزه الاثيرية برسوم تستحضر روح الماضي وتخلعها على شخوص الحاضر ، فكان بذلك القناة التي تعبر منها الثقافة القديمة لتروي فن العراق الحديث !..

اما فائق ، فقد سلك طريقا آخر ، أحيا على دربه صورة « القرية » والطبيعة العراقية كما بدت لعينيه في مرحها البري ووجها الخشن ، بعدان ودع الى غير عودة ، صورة الشخصية التي بلغت كمال التجديد .

ومنذ ان افترق هذان الرائدان كل بسبيل ، ظهرت بوادر تلك الحركة الجديدة التي التي كانت تنطوي ـ في تعبيراتها ـ على اقل معاني الماضي ، واكثر مظاهر الحاضر :

الاشياء المعروفة ، والاشياء المختبرة . الاشياء المنظورة والاشياء المتخيلة . غير ان البستان بقيت كمهدها ، قطعة من البرية . اما فروعها فكانت تفتقر الى عناء التشذيب .

في مطلع عام ١٩٤٠ تأسست « جمعية اصدقاء الفن » ٠ ويشير مولد هذه الجمعية الى تحول نوعي في المجتمع المثقف ، وفي الاوساط الفنية بالذات ، حيث تبرز شخصية الفنان لاول مرة ، وهي تدخل حياة مؤثرة في احداثها ومتأثرة باحداثها ٠ غير ان هذه الجمعية لا تفتأ حتى تختفي من افق الفن العراقي بعد سنوات قليلة بسبب من عجزها المالي وانصراف الحكومة عن مساعدتها ، كما جاء في الكلمة التالية التي كتبها الفنان جميل حمودي في مجلته « العصر الحديث » :

« أسس هذه الجمعية (سنة ١٩٤٠) جماعة من الفنانين ، فهم من كان قد رجع توا من اوربا بسبب ظروف الحرب، ومنهم من كان يعمل هنا وحده ببطء ويأس ٠ وقد كانت هذه الجمعية ، ولا تزال ، المؤسسة الوحيدة التي ربطت أواصر الالفة بين الفنانين ووحدت جهودهم لسنين ، حيث أمتد نشاطها الى أبعد من المعارض : الى الحفلات الموسيقية والمحاضرات وعرض الرقوق السينمائية وغير هذا من ضروب الدعاية للفن في هذه الربوع التي (لم يكتب لها) ان يفهم فيها الفن او يهتم به أحد !٠٠ وقد نجحت الجمعية في نشر التذوق الفني الى حد لا بأس به ، على انها لقيت في سبيل ذلك كثيرا من المصاعب وقامت عندها كثير من المشاكل اولها واهمها ، كما لا يخفي!٠»

وقبل ان تختفي هذه الجمعية من الافق الفني ، وتنتهي كهيئة معنوية وكبنية رسمية جمعت شمل الفنانين العراقيين آنذاك ، وقاربت بين جهودهم، وباعدت بين آرائهم ، كانت الحركة الفنية قد سارت شوطا في طريق التطور، واتسمت السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بحدة الصراع بين أساليب الفنانين وتطلعاتهم ٠ واصبحت المعضلات التشكيلية ، ذات وجود مؤثر في دفع الحركة وجذبها سلبا وايجابا ، ونشأ من كل ذلك : تبرعم نوعي ، وانشطارات شكلية ، وتحولات مضمونية ، بدت واضحة في اعمال فريق صغير من الفنانين قدرت له قيادة الحركة الفنية فيما بعد ، كما تبلورت تلك الظواهر في النهاية بتجمعات صغيرة ، اثمرت الجماعات الفنية الاولى التي ألف بين افرادها عامل الصداقة أول الامر ، ثم انتهت لان تكون أستقطابا للافكار ، وائتلافا للموضوعات ، وفهما لبعض جوانب المعضلات التشكيلية التي كانت تواجه الفنان ، في مرحلة من أشد المراحل تعقيدا ومواجهة لواقع الصراع الاجتماعي والفكري المتنامي في تلك الايام ٠

ومن هنا ، نشأ الوعي باهمية البحث عن الهامات جديدة تعيد التوازن بين ما يجري في الحياة الانسانية من تطور ، وبين ما تستطيع ان تخطه القدرات الفنية المبدعة من خطوط عميقة للتعبير عن مشكلات العصر التي اصبح على الفنان ان يواجهها بقدر كبير من اليقظة والذكاء ، بل اصبح

عليه واجب اقتحامها وتجاوزها بجدارة طليعية ٠

ومنذ ان اغلق « مرسم الفنان حافظ الدروبي[٦] » الذى استمر مفتوا اربع شهور من عام ١٩٤٢ ، لم يجتمع شمل الفنانين حتى عام ١٩٥٦ غب مولد : « جمعية الفنانين العراقيين » ٠

ومحاولة «المرسم» تلك ، كانت تتسم بروح الحماس لتأسيس ما يدعي في تاريخ الفن ب « مشغل الفنان » الا ان ظروف الحياة الفنية والاجتماعية ، وعلاقة الفنان بها من جانب ، وعدم قدرته على الاستمرار في الانفاق على « المرسم » من جانب آخر ، أديا الى غلق أبوابه وتفرق جماعته ٠

وظاهرة المرسم هذه ، تلقى الضوء على ممارسات الفنانين للعمل الفني ضمن تجمعات ، كانت في جوهر تكوينها ، البذور الاولى لتجمعات أكبر تحققت في المستقبل على نطاق اوسع ٠

خاتمة :

ان خير ما يمكن ان نختتم به هذا العرض السريع لحركة الفن العراقي في أيامها الاولى ، هو هذه الكلمة الصادقة التي نقتطفها من يوميات الفنان الراحل جواد سليم :

« كانوا قلائل تحدق بهم المصاعب من كل جانب في عملهم الابداعي وتهيئة الجمهور للفهم والتذوق ٠ أما عملهم فبصفتهم البعث الاول منذ مدة خمسة قرون ، كانت محاولتهم صعبة وهم يهيئون الاسس للاجيال الشابة القادمة ٠ كان عملهم ينحصر في تأليف حلم هذا الاعرابي الملون غير المتناهي في كتب التاريخ وزخارف الريازة العربية ، وحتى أبعد من ذلك ، بين انسان عاش بين احضان النهرين منذ آلاف السنين وصنع من طين هذه التربة تماثيل صغيرة جميلة ، وبين تعبير استمده من لندن وباريس وروما ٠

واما الجمهور ، فانه على سذاجته وانصرافه عن تذوق هذا الشيء الجديد ، فقد مهد للفنان ارضا خصبة بكرا لبذر الثقافة الجديدة ٠٠»

[يوميات جواد سليم ١٦/١١/١٩٤٤]

أجل ٠٠ كانوا قلائل حقا ٠٠ ولكن حركة الفن العراقي بدأت من ذلك الضعف القوى ! ٠٠ بدأت باولئك الذين لم يجبنوا من ان يرفعوا المشاعل عاليا فوق هاماتهم الطامحة ، ووجوههم النبيلة ، تتألق بفرح الشباب الماضية ، دون احتفال بالمصاعب ، أو اهتمام بالسخر والاعراض !!٠

(١) الجيل الثاني من الرسامين وهو الجيل التالي لعبدالقادر رسام وأبرز أسمائه : شوكت الخفاف ، وناصر عوني ، وفتحي صفوت وغيرهم .

(٢) كتب هذا الجزء من المقال على ضوء معلوماتنا وملاحظاتنا الشخصية عن تلك الفترة ، قبل أن تصل الى أيدينا مذكرات الفنان الكبير جواد سليم التي أكدت ما ذهبنا اليه من رأي .

(٣) أي أنهما منتميان الى روح مدرسة باريس في الفن .

(٤) العقيد المتقاعد محمد صالح زكي .

(٥) هدم واحد من أجمل أبواب أسوار بغداد ، وابدال القبة الرجانية الرائعة بقبتين جديدتين مشوهتين .

(٦) أسس هذا المرسم الفنان حافظ الدروبي عام ١٩٤٢ ، وأشغل قاعة واسعة في الدور الثاني من بناية في الباب الشرقي كانت في صف المباني المجاورة لسينما غازي (وقد زالت معالم هذه المنطقة تماما بعد أن أصبحت جزءاً من حديقة الامة .) وكان يختلف الى هذا المرسم أكثر فناني تلك الفترة ، ليزاولوا رسم « الموديل الحي » بأوضاع مختلفة وعارية في أحيان كثيرة ، كما يزاولون رسم تشكيلات الطبيعة الصامتة وغير ذلك .

أما الفنانون الذين كانوا يواضبون على العمل في المرسم فهم : جواد سليم ، نزيهة سليم . فائق حسن . أكرم شكري . مائدة الحيدري . عيسى حنا . سعيد مظلوم وغيرهم...